

غير أنه لم تقم بينهم صلات تتيح لهم تبادل التأثير والتأثر، اللذين يولدان تفاعلاً بيناً، لأن الصياغة قد تلعب دوراً هاماً في أحداث التشابه بين أعمال تلك الآداب. ثم عدلت المدرسة الفرنسية موقفها وأصبحت كغيرها ترى أن الأدب المقارن يهتم بالصلات التي تقوم بين الآداب المختلفة اللغة، وبما نتج أو ينتج عن هذه الصلات. إما في حاضرها وإما في ماضيها، من تأثير وتأثر سواء كان ذلك نتيجة علاقات شخصية قامت بين أدباء ينتسبون إلى لغات مختلفة، أو عاد ذلك إلى المناهل المشتركة التي استقوا منها مادتهم الأدبية<sup>(١)</sup>. أو إلى أسباب تشابه أخرى مختلفة لها خصوصياتها.

ومن المعروف أن من أقدم القضايا في النقد العربي قضية الأخذ، أعنى أخذ شاعر عن شاعر آخر بيتاً من أبياته، أو فكرة من أفكاره، أو صورة من صوره، تلك القضية التي عرفت باسم السرقات الأدبية. وخاض فيها النقاد منذ العصر الأموي، وما زال بعض التقليديين منهم خاصة يخوض فيها إلى اليوم كلما برز شاعر كبير فاستحق النقد كما استحق المهجوم عليه وعلى تجديده.

وعلى الرغم من هذا الزمن الطويل، ورقعة الأدب العربي الفسيحة، والاهتمام الواسع النطاق الذي أولاه النقاد العرب لهذه القضية، حتى أتوا على كل جوانبها، وعالجوا كل مظاهرها، وسموا كل واحدة من ظواهرها باسم خاص، على الرغم من كل ذلك، لم يزل من العسير - إن لم يكن من المحال أحياناً - الحكم على أديب بأنه أخذ من آخر، حتى لو سبق أحدهما الآخر بزمان طال أو قصر.

ولعل من أهم هذه الأسباب ظاهرة توارد الخواطر، نعني اتفاق الخواطر على أفكار متماثلة كل التماثل، أو متقاربة قريباً شديداً في بعض الأحيان، دون أن يطلع صاحب الفكرة اللاحقة على الفكرة السابقة أو يسمع بها، وإنما يصل كل من الأديبين إلى فكرته ابتداءً. وليس ذلك بالأمر المحال، ولا البعيد، فالتفكير ظاهرة بشرية اجتماعية، تتأثر بالبيئة الطبيعية، والبيئة الاجتماعية، والموروث الثقافي، وقد كانت هذه المؤثرات في الأدباء العرب - على اختلاف عصورهم وتباعد أقطارهم - متشابهة تشابهاً بعيداً. فلا بدع أن تأتي بنتائج - أعنى أفكاراً - متماثلة أو متقاربة.

وطبيعي أن يحتذى الأدباء - إن صدقاً وإن كذباً - بتوارد الخواطر، الذي يبعد عنهم ما عدّه النقاد العرب نقيصة أو وصمة، وأطلقوا عليه اسم السرقة.

---

(١) ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام ص ٣٧، ٣٨.